العقيدة الواسطية

تصنيف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

(٦٦١ – ٧٢٨)

﴿ كتبها سنة ٦٩٨ ﻫ إجابةً لطلب أحد قضاة واسط ﴾

ويليها المناظرة فى العقيدة الواسطية التى انعقدت
بين شيخ الإسلام وعلماء عصره فى مجلس نائب السلطنة الأفرم
بدمشق سنة ٧٠٥ ﻫ

طبعت العقيدة الواسطية هذه الطبعات :

١ :	الطبعة الأولى مع رسائل أخرى فى مطبعة السعادة	١٣٢٣
٢ :	« الثانية « المنار	١٣٤٠
٣ :	« الثالثة مع رسائل أخرى فى مطبعتنا السلفية	١٣٤٥
٤ :	« الرابعة مع المناظرة « «	١٣٤٦
٥ :	« الخامسة « « «	١٣٤٧
٦ :	« السادسة « « «	١٣٤٨
٧ :	« السابعة « « «	١٣٩٣
٨ :	« الثامنة « « «	١٣٩٨
٩ :	« التاسعة « « «	١٣٩٩

طبعت فى دار
المطبعة السلفية - ومكتبتها
٢١ شارع الفتح بمنيل الروضة بالقاهرة
تليفون : ٨٤٠٣٦٤

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد ، فهذه العقيدة السَّلفية المباركة كتبها شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رضى الله عنه فى سنة ٦٩٨ هـ ، إجابة لطلب بعض قضاة مدينة وَاسِطَ فى الديار العراقيَّة عقب استيلاء دولة التتار عليها ، وقضائهم على معالم الحضارة ومعاهد العلم والهداية فيها ، وتشريدهم أعلام الفضل وأئمة الدين من ربوعها . فشكا إليه قاضى واسط ما الناس فيه ببلادهم فى دولة التتار من غلبة الجهل والظلم ، ودروس الدين والعلم ، وسأله أن يكتب له رسالة تتضمَّن ما يجب على المؤمن اعتقاده فى الله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، والإيمان بكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره . وما ينبغى اعتقاده فى الصحابة رضى الله عنهم وما يجب أن يكون عليه المسلم من اتباع السنة واجتناب البدعة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إلى غير ذلك مما يحسن بالمسلم أن يَدين لله به قولا وعملا ليكون من الطائفة الناجية .

فكتب شيخ الإسلام رحمه الله هذه الرسالة فى مجلس واحد بعد العصر من أيام السنة المذكورة (٦٩٨ هـ) وما لبث أن سارت

بها الركبان كسائر مؤلفاته النافعة، وتدارسها الناس واشتهرت في جميع الأقطار الإسلامية في حياة المؤلف وبعده .

وهذه العقيدة مقتبسة من نور الهداية المحمدية المحضة : كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا تشوبها النزعات الفلسفية ، ولا الآراء الأجنبية : من يونانية أو فارسية ، حتى ولا في معرض مناقشتها والرد عليها . وقد سلك فيها شيخ الإسلام — أحسن الله مكافأته — مسلك علماء السلف من أهل القرون الثلاثة الأولى في الإسلام ، من إثبات كل ما نص عليه الشرع غير محاول تحريفَ كلمة عما وضعت له في صريح اللغة أو تعطيلها عن المعنى الذي وضعت للدلالة عليه ، نافياً كل النفي جميع شوائب التمثيل والتشبيه عملا بقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ واتباعاً للإجماع القديم ، فضلا عن دلالة العقل على ذلك .

إن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن مفخرة عصره فحسب ، بل هو العلَم المفرد الذي لم يرزق المسلمون عالماً عاملا مصلحاً صحيح النظر نيّر البصيرة يضارعه في هذه الصفات ، من زمانه إلى يومنا هذا . وكان فريق عظيم من كبار علماء عصره يعرفون له هذه الفضائل ويعلنونها على رؤوس الأشهاد ، وفريق آخر كان من طلاب الجاه — الذين يوجد أمثالهم في كل زمان ومكان — فكان يسوؤهم أن تكسف شمس هذا الإمام العظيم مصابيحهم ، فيحرصون على التشدّق في المجالس بذكر إثبات الشيخ للصفات بلا تحريف ولا تعطيل ويسكتون عن الجزء المتمم لذلك في عقيدة السلف وهو في التمثيل والتشبيه ،

وربما جازت حيلتهم هذه على فريق ثالث وهم سليمو النية من العلماء فيظنون السوء بعقيدة شيخ الإسلام لأن الذين نقلوها لهم ذكروا شطرها وكتموا الشطر الآخر . ومثلهم فى ذلك كمثل الذى يقرأ من كتاب الله تعالى ﴿ لا تقربوا الصلاة ﴾ ويكتم تمام الآية ﴿ وأنتم سكارى ﴾ . وكانت نتيجة هذه الدعاية الخاطئة أن جماعة من علماء عصره طلبوا إلى نائب السلطنة فى دمشق — وهو جمال الدين أقوش الأفرم — أن يعقد للشيخ مجلساً يناقشونه فيه بما يقال عنه من هذا القبيل ، فجمعهم به فى مجلسه عام ٧٠٥ هـ على ما أشاروا إليه الصلاح ابن الكتبى فى (فوات الوفيات ١ : ٥١) وكان العلماء المعاصرون له الذين جاءوا لمناظرته فى هذا المجلس بعضهم من المتعنّتين طلاب الجاه المتخذين سيماء العلم وسيلة لبلوغ المراتب فى الدنيا ، وبعضهم من أهل الفضل والتقوى الذين لم ينظروا فى كتب شيخ الإسلام بأنفسهم وإنما صدّقوا ما كان يذيعه عنه الفريق الأول .

وترى فى (المناظرة) التى ألحقناها بآخر العقيدة الواسطية تفصيل المناقشة التى جرت بين شيخ الإسلام ومعاصريه بحضرة نائب السلطنة الأفرم ، وكيف ظهر الشيخ عليهم بالحجة والبيان فرجع الفضلاء إلى قوله طائعين ، وأذعن عبيد الجاه للحق مكرهين .

والحمد لله أولا وآخراً * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيداً .

أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ، أهل السنة والجماعة ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمدٌ صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه ، لأنه سبحانه لا سميَّ له ، ولا كفوَ له ولا ندَّ له . ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلا وأحسن حديثاً من خلقه . ثم رسله صادقون مصدَّقون ، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون. ولهذا قال سبحانه وتعالى ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ،

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ﴾ ، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب . وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات ، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون . فإنه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله حيث يقول ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، مَن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيُّه السمواتِ والأرضَ ولا يؤوده حفظهما — أي لا يكرثه ولا يثقله — وهو العلي العظيم ﴾ ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح ، وقوله سبحانه ﴿ وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ وقوله سبحانه ﴿ وتوكل على الحيِّ الذي لا يموت ﴾ وقوله ﴿ وهو الحكيم الخبير . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها — وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب

ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ وقوله ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ وقوله ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ وقوله ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ وقوله ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقوله ﴿ إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ وقوله ﴿ ولولا إذ دخلتَ جنتك قلتَ ما شاء الله لا قوة إلا بالله — ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ وقوله ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم . إن الله يحكم ما يريد ﴾ وقوله ﴿ فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد فى السماء ﴾ وقوله ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين — وأقسطوا إن الله يحب المقسطين — فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين — إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وقوله ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وقوله ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ وقوله ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ وقوله ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ وقوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم — ربنا وسعتَ كل شيء رحمة وعلما — وكان بالمؤمنين رحيما — ورحمتى وسعت كل شيء — كتب ربكم على نفسه الرحمة — وهو الغفور الرحيم — فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ وقوله ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وقوله ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وقوله ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله

وكرهوا رضوانه ﴾ وقوله ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ وقوله ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ﴾ وقوله ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر ﴾ وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك ؟ كلا إذا دُكت الأرض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً — ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ وقوله ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام — كل شىء هالك إلا وجهه ﴾ وقوله ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى — وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ وقوله ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا — وحملناه على ذات ألواح ودُسُر * تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر — وألقيتُ عليك محبة منى ولتُصنع على عينى ﴾ وقوله ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله ، والله يسمع تحاوركما — لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء — أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ وقوله ﴿ إننى معكما أسمع وأرى ﴾ وقوله ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى — الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين * إنه هو السميع العليم — وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ وقوله ﴿ وهو شديد المحال ﴾ وقوله ﴿ ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ وقوله ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ وقوله ﴿ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ﴾ وقوله

﴿ إن تُبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قدير — وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ والله غفور رحيم ﴾ وقوله ﴿ ولله العزة ولرسوله ﴾ وقوله عن إبليس ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ وقوله ﴿ تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام ﴾ وقوله ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ، هل له سمياً — ولم يكن له كفواً أحد — فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون — ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله — وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولىٌّ من الذل وكبره تكبيراً — يسبح لله ما فى السماوات وما فى الأرض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شىء قدير — تبارك الله الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدّره تقديراً — ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون — فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون — قل إنما حرّم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فى سبعة مواضع : فى سورة الأعراف قوله ﴿ إن ربكم الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ وقال فى سورة يونس عليه السلام ﴿ إن ربكم الله الذى

خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾
وقال فى سورة الرعد ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد
ترونها ثم استوى على العرش ﴾ وقال فى سورة طه ﴿ الرحمن
على العرش استوى ﴾ وقال فى سورة الفرقان ﴿ ثم استوى على
العرش ، الرحمن ﴾ وقال فى سورة ألم السجدة ﴿ الله الذى خلق
السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾
وقال فى سورة الحديد ﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة
أيام ثم استوى على العرش ﴾ وقوله ﴿ يا عيسى إنى متوفيك ورافعك
إلىّ — بل رفعه الله إليه — إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه — يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات
فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً — أءمنتم من فى السماء أن
يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور . أم أمنتم من فى السماء أن يرسل
عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾ وقوله ﴿ هو الذى خلق السماوات
والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم
والله بما تعملون بصير — ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم
ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم
أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شىء عليم —
لا تحزن إن الله معنا — إننى معكما أسمع وأرى — إن الله مع الذين اتَّقوْا
والذين هم محسنون — واصبروا إن الله مع الصابرين — كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ وقوله ﴿ ومن

أصدق من الله حديثاً – ومن أصدق من الله قيلا ﴾ ، ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم – وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا – وكلم الله موسى – تكليما – منهم من كلم الله – ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه – وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا – وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين – وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة – ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون – ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين – وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله – وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون – يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل – واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته – إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون – وهذا كتاب أنزلناه مبارك – لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله – وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين – ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى . وهذا لسان عربى مبين ﴾ وقوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة – على الأرائك ينظرون – للذين أحسنوا الحسنى وزيادة – لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾ .

وهذا الباب فى كتاب الله تعالى كثير . من تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق .

فصل

فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه وما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها ، كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » متفق عليه . وقوله صلى الله عليه وسلم « للهُ أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته » الحديث متفق عليه . وقوله صلى الله عليه وسلم « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة » متفق عليه . وقوله « عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ، ينظر إليكم أذلّين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب » حديث حسن . وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال جهنم يلقى فيها وهى تقول : هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله — وفى رواية — عليها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض فتقول قطٍ قط » متفق عليه. وقوله « يقول الله تعالى : يا آدم . فيقول : لبيك وسعديك . فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار» متفق عليه ، وقوله « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان » وقوله صلى الله عليه وسلم فى رقْية المريض « ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ، أمرك

فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء ، اجعل رحمتك فى الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ » حديث حسن رواه أبو داود وغيره . وقوله « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء » حديث صحيح . وقوله « والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه » حديث حسن رواه أبو داود وغيره . وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية « أين الله ؟ » قالت فى السماء قال « من أنا »؟ قالت أنت رسول الله قال « اعتقها فإنها مؤمنة » رواه مسلم . وقوله « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث ما كنت » حديث حسن وقوله « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه فإن الله قبل وجهه ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه » متفق عليه ، وقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء ، اقض عنى الدين واغننى من الفقر » رواه مسلم . وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً ، إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » متفق عليه . وقوله « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا

على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا » متفق عليه.
إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به ، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم . فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة ، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين الجبرية والقدرية ، وفي باب وعيد الله بين المرجئة [والوعيدية من القدرية وغيرهم ، وفي باب أسماء الإيمان [والدين] بين] الحرورية [والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج :

فصل

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ وليس معنى قوله ﴿ وهو معكم ﴾ أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ،

وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء ، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم ، إلى غير ذلك من معانى ربوبيته . وكل هذا الكلام الذى ذكره الله سبحانه — من أنه فوق العرش وأنه معنا — حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف . ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله ﴿ فى السماء ﴾ أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض ، وهو الذى يمسك السماوات والأرض أن تزولا — ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره .

فصل

وقد دخل فى ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب كما جمع بين ذلك فى قوله ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان ﴾ الآية . وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » وما ذكر فى الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافى ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه سبحانه ليس كمثله شئ فى جميع نعوته وهو علىٌّ فى دنوه قريب فى علوه .

فصل

ومن الإيمان بالله وكتبه : الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير

مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه ، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً ، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعانى ولا المعانى دون الحروف .

فصل

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته يرونه سبحانه وهم فى عرصات القيامة ، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى .

فصل

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه . فأما الفتنة فإن الناس يفتنون فى قبورهم فيقال للرجل : « من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فيقول المؤمن : الله

ربي والإسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي . وأما المرتاب فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته . فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق . ثم – بعد هذه الفتنة – إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون ، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا ، وتدنو منهم الشمس ، ويلجمهم العرق ، وتُنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾ وتنشر الدواوين – وهي صحائف الأعمال – فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ ويحاسب الله الخلائق ، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة . وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حساب لهم (١) ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها . وفي عرصة القيامة الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ،

---

(١) في طبعة سنة ١٣٢٢ : فإنهم لا حسنات لهم

آنيته عدد نجوم السماء ، طوله شهر وعرضه شهر ، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً .

والصراط منصوب على متن جهنم – وهو الجسر الذى بين الجنة والنار – يمر الناس على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدواً ، ومنهم من يمشى مشياً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، ومنهم من يخطف ويلقى فى جهنم . فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة ، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة .

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته وله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات ، أما الشفاعة الأولى : فيشفع فى أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهى إليه . وأما الشفاعة الثانية : فيشفع فى أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له . وأما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ، ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته ويبقى فى الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة * وأصناف ما تضمنته

الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة فى الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثورة عن الأنبياء . وفى العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذاك ما يشفى ويكفى فمن ابتغاه وجده .

وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره . والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى : بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذى هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق . فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب . قال : ما أكتب؟ قال أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال تعالى ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض ، إن ذلك فى كتاب ، إن ذلك على الله يسير ﴾ وقال ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ﴾ .

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون فى مواضع جملة وتفصيلا ، فقد كتب فى اللوح المحفوظ ما شاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له : اكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقى أم سعيد . ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل .

أما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة

وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما فى السموات وما فى الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون فى ملكه إلا ما يريد ، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق فى الأرض ولا فى السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه . ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم . والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلى والصائم . وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم .

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبى صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ؛ ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها .

فصل

ومن أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل : قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصى والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصى كما قال سبحانه فى آية القصاص ﴿فمن عُفى له من أخيه

شيء فاتباعٌ بالمعروف ﴾ وقال ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾

ولا يسلبون الفاسق الملىّ الإيمان بالكلية ولا يخلدونه فى النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل فى اسم الإيمان المطلق كما فى قوله ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ وقد لا يدخل فى اسم الإيمان المطلق كما فى قوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » ونقول : هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم بكبيرته .

فصل

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله فى قوله تعالى ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وطاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » . ويقبلون من جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ،

ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل – وهو صلح الحديبية – على من أنفق من بعده وقاتل ، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ﴿ اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة . ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم كالعشرة وثابت بن قيس ابن شماس وغيرهم من الصحابة ، ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار ، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما – بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر – أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعليّ ، وقدم قوم علياً ، وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله * ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم « أذكركم الله

فى أهل بيتى » وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بنى هاشم فقال « والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى » وقال « إن الله اصطفى بنى اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم » ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه فى الآخرة خصوصاً خديجة رضى الله عنها أم أكثر أولاده ، وأولاده ، وأول من آمن به وعاضده على أمره ، وكان لها منه المنزلة العالية . والصديقة بنت الصديق رضى الله عنها التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون : إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، حتى أنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته ،

أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذى هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه . فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف الأمور التى كانوا فيها مجتهدين : إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور .

ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح . ومن نظر فى سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمها على الله .

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم فى سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهى موجودة فيها إلى يوم القيامة .

فصل

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » . ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدْى هدى

محمد صلى الله عليه وسلم . ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخيار الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة ، وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع ، وضدها الفرقة وإن كان لفظ الجماعة قد صار إسماً لنفس القوم المجتمعين ، والإجماع هو الأصل الثالث الذى يعتمد عليه فى العلم والدين .

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين .

والإجماع جميع ما عليه الناس مما له تعلق بالدين . والإجماع الذى ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح وبعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة .

فصل

ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة ، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ، ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وشبك بين أصابعه ، وقوله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضاء بمرِّ القضاء ، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ،

ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، ويأمرون ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغى والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ، ويأمرون بمعالى الأخلاق ، وينهون عن سفاسفها .

وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة ، وطريقتهم هى دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم . لكن لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة ، وفى حديث عنه أنه قال « هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدُّجىٰ أولو المناقب المأثورة ، والفضائل المذكورة ، وفيهم الأبدال وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » فنسأل الله أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب . والله أعلم :

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

المناظرة فى

العقيدة الواسطية

بين شيخ الإسلام ابن تيمية وعلماء عصره،

في مجلس نائب السلطنة الأفرم

بدمشق سنة ٧٠٥ هـ

نقلها الشيخ علم الدين عن لسان

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

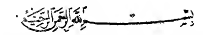
(٦٦١ - ٧٢٨)

(الطبعة السابعة)

١٣٩٩ هـ

نشرها

قصي محب الدين الخطيب



ذكر ما وقع فى هذه العقيدة المباركة من الأبحاث التى جلاها جامعها للمعترضين

نقل الشيخ عَلَم الدين أن الشيخ قُدِّس سرُّه قال فى مجلس نائب السلطنة الأفرم — لما سأله عن اعتقاده ، وكان أحضر الشيخ عقيدته الواسطية قال : — هذه كتبتها من نحو سبع سنين ، قبل مجىء التتار إلى دمشق . فقُرئتْ فى المجلس .

ثم نقل علم الدين عن الشيخ أنه قال : « كان سبب كتابتها بعضُ قضاة واسط من أهل الخير والدين : شكا ما الناس فيه ببلادهم فى دولة التتار من غلبة الجهل والظلم ، ودروس الدين والعلم ، وسألنى أن أكتب له عقيدة . فقلت له : قد كتب الناس عقائد أئمة السُّنة . فألحَّ فى السؤال وقال : ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت . فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر » .

فأشار الأمير لكاتبه فقرأها على الحاضرين حرفاً حرفاً . فاعترض بعضهم على قولى فيها « ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل (١) » ومقصوده أن هذا ينفى التأويل الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره .

---

(١) انظر ص ٣

فقلت : إنى عدلت عن لفظ (**التأويل**) إلى لفظ (**التحريف**) لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه ، وأنا تحرَّيت فى هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة : فنفيت ما ذمه الله من التحريف ، ولم أذكر فيها لفظ (التأويل) لأنه لفظ له عدة معان كما بينته فى موضعه من (القواعد) . فإن معنى لفظ التأويل فى كتاب الله غير لفظ التأويل فى اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه ، وغير معنى لفظ التأويل فى اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف .

وقلت لهم : ذكرتُ فى النفى (**التمثيل**) ولم أذكر (**التشبيه**) لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ .

وأخذوا يذكرون نفى التشبيه والتجسيم ، ويطنبون فى هذا ، ويعرضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك .

فقلت : قولى « من غير تكييف ولا تمثيل » ينفى كل باطل . وإنما اخترتَ هذين الإسمين لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عُيَينة وغيرهم المقالة التى تلقاها العلماء بالقبول : « **الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة** » . فاتفق هؤلاء السلف على أن (الكيف) غير معلوم لنا ، فنفيت ذلك اتباعاً لسلف الأمة ، وهو أيضاً منفى بالنص فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف ، وحقيقة صفاته غير معلومة ، وهذا من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله كما قررتُ ذلك فى (قاعدة) مفردة ذكرتها فى التأويل والمعنى ،

والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله . وكذلك (التمثيل) منفى بالنص والإجماع القديم ، مع دلالة العقل على نفيه ونفى التكييف ، إذ كنه البارى غير معلوم للبشر . وذكرت فى ضمن ذلك كلام الخطَّابى — الذى نقل أنه مذهب السلف — وهو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفى الكيفية والتشبيه عنها ، إذ الكلام فى الصفات فرع الكلام فى الذات يحتذوه حذوه ، ويتبع فيه مثاله . فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف .

قال أحد كبراء المخالفين : فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالأجسام .

فقلت له أنا وبعض الفضلاء : إنما قيل إنه يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله . وليس فى الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا . وأول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضى . وأما قولنا فهو الوسط فى فرق الأمة ، كما أن الأمة هى الوسط فى الأمم ، فهم وسط فى باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة (انظر ص ١٧) .

فقيل لى « أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد » وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهباً متبوعاً .

فقلت ما خرجت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا . وقلت : قد أمهلت من خالفنى فى شىء منها ثلاث سنين ، فإذا جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف

ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك ، وعليّ أن آتى بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث وغيرهم .

ثم طلب المنازع الكلام فى مسألة الحرف والصوت .

فقلت : هذا الذى يحكى عن أحمد وأصحابه « أن صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلى » كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين . وأخرجت كراساً وفيه ما ذكره أبو بكر الخلال فى (كتاب السنة) عن الإمام أحمد ، وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزى من كلام أحمد وكلام أئمة زمانه فى أن « من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع » قلت : فكيف بمن يقول لفظى أزلى ، فكيف بمن يقول صوتى قديم ؟

فقال المنازع : إنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية والمشبهة. ونحو هذا الكلام .

فقلت : المشبهة والمجسمة فى غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم ، فهؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد فى صنف آخر . وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية ، وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما فى غيرهم . والكرامية المجسمة كلهم حنفية . وقلت له : من فى أصحابنا حشوى بالمعنى الذى تريده ؟ الأثرم ، أبو داود ، المروزى ، الخلال ،

أبو بكر بن عبد العزيز ، أبو الحسن التميمي ، حامد ، القاضي أبو يعلى ، أبو الخطاب ، ابن عقيل ؟ ورفعت صوتي وقلت : سمهم ، قل من هم ؟ أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين ، كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون : القرآن الكريم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين ، وأن الصوت والمداد قديم أزلي ! من قال هذا وفي أي كتاب وجد منهم هذا ؟ قل لي . وكما نقل عنهم أن الله لا يُرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم .

ولما جاءت مسألة القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق : منه بدأ وإليه يعود (١) نازع بعضهم في كونه (منه بدأ وإليه يعود) وطلبوا تفسير ذلك .

فقلت : أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف ، مثلما نقله عمرو بن دينار قال : أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون « الله الخالق وما سواه مخلوق ، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق : منه بدأ وإليه يعود » . ومعنى (منه بدأ) أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه ، ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره . وأما (إليه يعود) فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف . ووافق على ذلك غالب الحاضرين فقلت :

(١) انظر ص ١٨

هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » يعني القرآن . وقال خبَّاب بن الأرتّ : يا هنتاه ، تقرب إلى الله بما استطعت ، فلن يُتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه .

وقلت : وإن الله تكلم به حقيقة وإن هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ، بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً (١) . فامتعض بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة . ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه وأن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم ، وشعر الشعراء المضاف إليهم ، هو كلامهم حقيقة . ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً ، استحسنوا هذا الكلام وعظموه .

وذكرت ما أجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق العرش وأنه معنى حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة (٢) . وليس معنى قوله ﴿ هو معكم أينما كنتم ﴾ أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه

(١) انظر ص ١٧ - ١٩ (٢) انظر ص ١٧

سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان .

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التى يسمى المخلوق كلفظ الوجود الذى هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ ؟ فقال أحدهما : هو متواطئ ، وقال آخر : هو مشترك لئلا يلزم التركيب . وقال هذا : قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبنى على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا ، فمن قال إن وجود كل شىء عين ماهيته قال إنه مقول بالاشتراك ، ومن قال إن وجوده قدر زائد على ماهيته قال إنه مقول بالتواطؤ ، فأخذ الأول يرجح قول من يقول إن الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ . فقال الثانى : مذهب الأشعرى وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته ، فأنكر الأول ذلك .

فقلت : أما متكلمو أهل السنة فعندهم أن وجود كل شىء عين ماهيته ، وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة أن وجود كل شىء قدر زائد على ماهيته ، وكل منهما أصاب من وجه : فإن الصواب أن هذه الأسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته فى غير هذا الموضع ، وما بناء ذلك على كون وجود الشىء عين ماهيته أو ليس ، فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب : فإنا وإن قلنا إن وجود الشىء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظى فقط كما فى جميع أسماء الأجناس ، فإن اسم السواد مقول

على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد ، إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما ، وهو المطلق الكلى ، لكنه لا يوجد مطلقاً بشرط الإطلاق إلا فى الذهن ، ولا يلزم من ذلك نفى القدر المشترك بين الأعيان الموجودة فى الخارج فإنه على ذلك تنتفى الأسماء المتواطئة ، وهى جمهور الأسماء الموجودة فى اللغات ، وهى أسماء الأجناس اللغوية ، وهو الاسم المعلق على الشىء وما أشبهه . سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامداً أو مشتقاً ، وسواء كان جنساً منطقياً أو فقهياً أو لم يكن ، بل اسم الجنس فى اللغة تدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ونحو ذلك ، وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها فى الخارج متميزة .

وكتب عبد الله بن تيمية لأخيه زين الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

من أخيه « عبد الله بن تيمية » إلى الشيخ الإمام العالم الفاضل الصدر الكبير « زين الدين » زينه الله تعالى بحلية أوليائه ، وأكرمه في الدنيا والآخرة بكرامة أصفيائه ، وجعل له البشرى بالنصر الأكبر على أعدائه ، وأوزعه شكر النعماء ، خصوصاً أفضل نعمائه ، بما من الله به سبحانه من النصر العزيز للإسلام ، وللسنة وأهلها على حزب الشيطان وأوليائه .

أما بعد فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وأصلى على نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وأعرفه بما منّ الله سبحانه علينا وعلى المسلمين أجمعين بالنصر الأكبر ، والفتح المبين ، وهو وإن كانت العقول تعجز عن دركه على التفضيل ، والألسن عن وصفه عن التكميل ، لكن نذكر منه ما يسر الله سبحانه ملخصاً خالياً عن التطويل ، وهو أنه — لما كان يوم الإثنين ثامن من رجب — جمع نائب السلطان القضاة الأربعة ونوابهم والمفتين والمشايخ : نجم الدين ، وشمس الدين ، وتقى الدين ، وجمال الدين ، وجلال الدين نائب نجم الدين ، وشمس الدين ابن العز نائب شمس الدين ، وعز الدين نائب تقى الدين ، ونجم الدين نائب

جمال الدين ، والشيخ كمال الدين بن الزملكانى ، والشيخ كمال الدين ابن الشرشى ، وابن الوكيل من الشافعية ، والشيخ برهان الدين ابن عبد الحق من الحنفية ، والشيخ شمس الدين الحريرى من المالكية ، والشيخ شهاب الدين المجد من الشافعية ، والشيخ محمد بن قوام ، والشيخ محمد بن إبراهيم الأرموى .

ثم سأل نائب السلطان عن الاعتقاد . فقال : ليس الاعتقاد لى ولا لمن هو أكبر منى ، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سبحانه وتعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمع عليه سلف الأمة يؤخذ من كتاب الله تعالى ومن أحاديث البخارى ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة ، وما ثبت عن سلف الأمة .

فقال الأمير : نريد أن تكتب لنا صورة الاعتقاد ، فقال الشيخ إذا قلت الساعة شيئاً من حفظى : قد يقول الكذابون قد كتم بعضه ، أو داهن . بل أنا أحضر ما كتبته قبل هذا المجلس بسنين متعددة قبل مجىء التتار . فأحضرت « الواسطية » وسبب تسميتها بذلك : أن الذى طلبها من الشيخ رجل من قضاة واسط — من أصحاب الشافعى — قدم حاجاً من نحو عشر سنين ، وكان فيه صلاح كبير ، وديانة كبيرة ، فالتمس من الشيخ أن يكتب له عقيدة ، فقال له الشيخ : الناس قد كتبوا فى هذا الباب شيئاً كثيراً ، فخذ بعض عقائد أهل السنة ، فقال : أحب أن تكتب لى أنت . فكتب له — وهو قاعد فى مجلسه بعد العصر — هذه « العقيدة » .

ذكر الشيخ للأمير معنى هذا الكلام ، ثم قرئت على الحاضرين من أولها إلى آخرها ، كلمة ، كلمة ، وبحث فى مواضع منها . وفيهم من فى قلبه من الشيخ مالا يعلمه إلا الله ، وكان ظنهم أنهم إذا تكلموا معه فى هذا الكتاب أظهروا أنه يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة .

وأوردوا ثلاثة أسئلة فى ثلاث مواضع ، وهى « تسميتها باعتقاد أهل الفرقة الناجية » وقول : « استوى حقيقة » وقول : « فوق السموات » فقال الشيخ للكاتب الذى أقعده نائب السلطان وهو الشيخ كمال الدين بن الزملكانى : اكتب جوابها — وكان المجلس قد طال من الضحى إلى قريب العصر — فأشاروا بتأخير ذلك إلى مجلس ثان — وهو يوم الجمعة ثانى عشر رجب — فاجتمعوا هم وحضر معهم الصفى الهندى ، وحضرت أنا المجلس الثانى ، وما علمت بالمجلس الأول حين حضروا — وقد كانوا بحثوا فى تلك الأيام بالفصوص وطالعوه — واتفقوا على أنهم لا يبقوا ممكناً .

فلما حضرت بعد صلاة الجمعة ، واستقر المجلس : أثنى الناس على الصفى الهندى وقال جماعة منهم هو شيخ الجماعة وكبيرهم فى هذا ، وعليه اشتغل الناس فى هذا الفن ، واتفقوا على أنه يتكلم مع الشيخ وحده فإذا فرغ تكلم واحد بعد واحد .

فخطب الشيخ فحمد الله وأثنى عليه بخطبة ابن مسعود رضى الله عنه ، ثم قال : إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف ، ونهى عن الفرقة والاختلاف ، وربنا واحد ، ورسولنا واحد ، وكتابنا واحد ،

ودیننا واحد ، وأصول الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف ، ولا يحل فيها الافتراق لأن الله تعالى يقول : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ ويقول : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيّعاً لست منهم فى شىء ﴾ .

وهذا الباب قد تنازع الناس فيه ، ويقول هذا : أنا حنبلى ، ويقول هذا : أنا أشعرى ، وقد أحضرت كتب الأشعرى ، وكتب أكابر أصحابه ، مثل كتب أبى بكر بن الباقلانى ، وأحضرت أيضاً من نقل مذاهب السلف : من المالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، وأهل الحديث ، وشيوخ الصوفية ، وأنهم كلهم متفقون على اعتقاد واحد .

وكذلك أحضر نقل شيوخ أصحاب أبى حنيفة : مثل محمد ابن الحسن ، والطحاوى وماذكروه من الصفات وغيرها فى أصول الدين ، وقرأ « فصل » مما ذكره الحافظ ابن عساكر فى كتابه « الإبانة » وأنه يقول بقول الإمام أحمد . وأحضر « كتاب التمهيد » للقاضى أبى بكر بن الباقلانى . وأحضر « النقول » عن مالك وأكابر أصحابه : مثل ابن أبى زيد ، والقاضى عبد الوهاب ، وغيرهما من كبار أصحاب مالك بتصريحهم أن الله مستو بذاته على العرش .

وقال : أما الذى أذكره فهو مذهب السلف ، وأحضر ألفاظهم وألفاظ من نقل مذاهبهم من الطوائف الأربعة ، وأهل الحديث ، والمتكلمين ، والصوفية ، وأذكر موافقة ذلك من الكتاب والسنة ، وأنه ليس فى ذلك ما ينفيه العقل .

وإن كان الله تعالى يجمع قلوب الجماعة على ذلك فالحمد لله رب العالمين : وإن خالف مخالف وكان فى كلام الآخر [ما] أقوله ،

وأكشف الأسرار وأهتك الأستار ، وأبين ما يحتاج إليه بيانه ، وأجتمع بالسلطان ، وأقول كلاماً آخر .

وكان يوماً عظيماً مشهوداً بيّن فيه للحاضرين من البحث والنقل أمر عظيم وبحث عن أشياء خارجة عن « العقيدة الواسطية » لما أحضر لهم جوابه : فى مسألة القرآن ، ومسألة الاستواء — لما سئل عنها قديماً فى نحو اثنى عشر سنة — وقرأ عليهم من ذلك الجواب وسألوه عن ألفاظ فى المسألة « الحموية » وأوردوا عليه جميع ما فى أنفسهم من الأجوبة ، وقالوا هذا سؤالنا ، وما بقى فى أنفسنا شىء

فلما أجاب الشيخ عن أسئلتهم وافقوه وانفصل المجلس على ذلك ، وكان قال لهم : كل من خالف شيئاً مما قلته فاليكتب بخطه خلافه ، ولينقل فيما خالف فى ذلك عن السلف ، أو يكتب كل شخص عقيدة ، وتعرض هذه العقائد على ولاة الأمور ، ويعرف أيها الموافق للكتاب والسنة : وقال أيضاً : من جاء بحرف واحد عن السلف بخلاف ما ذكرت فأنا أصير إليه ، وأنا أحضر نقل جميع الطوائف أنهم ذكروا مذهب السلف كما وضعته وأنا موافق السلف ، ومناظر على ذلك ، وجميع أئمة الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والصوفية موافقون ما أقوله .

وسألوه عن الظاهر هل هو موافق أم لا ؟ فقال هذا ليس فى « العقيدة » وأنا أتبرع بالجواب عن أكثر من حكى مذهب السلف — كالخطابى ، وأبى بكر الخطيب ، والبغوى ، وأبى بكر ، وأبى

القاسم التميمي ، وأبي الحسن الأشعري وابن الباقلاني وأبي عثمان الصابوني ، وأبي عمر بن عبد البر ، والقاضي أبي يعلى ، والسيف الآمدي وغيرهم — في نفي الكيفية ، والتشبيه عنها ، وأن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات : يحتذى فيه حذوه ، ويتبع فيه مثاله ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات الصفات : إثبات وجود لا إثبات كيفية .

وقد نقل طائفة (١) أن مذهب السلف أن الظاهر غير مراد . قال : والجمع بين النقلين أن الظاهر لفظ مشترك ، فالظاهر الذي لا يليق إلا بالمخلوق غير مراد وأما الظاهر اللائق بجلال الله تعالى وعظمته فهو مراد أنه هو المراد في أسماء الله تعالى وصفاته مثل : الحي والعليم والقدير والسميع والبصير . وجرت بحوث دقيقة لا يفهمها إلا قليل من الناس .

وبين أن الله تعالى فوق عرشه على الوجه الذي يليق بجلاله ، ولا أقول فوقه كالمخلوق على المخلوق كما تقوله المشبهة ، ولا يقال إنه لا فوق السموات ولا على العرش رب كما تقوله المعطلة الجهمية ، بل يقال إنه فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه .

وتكلم على لفظ الجهة ، وأنه معنى مشترك ، وعلى لفظ الحقيقة

وسئل عن مسألة القرآن والصوت فأجاب بالتفصيل وكان أجاب به قديماً فقال : من قال إن صوت العبد بالقرآن ، ومداد المصحف قديم فهو مخطئ ضال ، ولم يقل بهذا أحد من علماء أصحاب الإمام أحمد ولا غيرهم .

(١) بياض بالأصل

وما نقل عنهم أنهم يقولون ليس القرآن إلا الصوت المسموع من القارئ والمداد الذى فى المصحف ، وهو مع ذلك قديم فهذا كذب مفترى . ما قاله أحمد ، وأحضر نصوص الإمام أحمد وأصحابه ، وأصحاب مالك ، والشافعى ، والأشعرى وغيرهم : أن من قال لفظى بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فكيف بمن يقول صوتى به غير مخلوق أو يقول صوتى به قديم ، وحرر الكلام فيها وأن إطلاق القول بنفى الحرف بدعة ، لم يتكلم به الإمام أحمد ولا غيره من الأئمة المتبوعين .

بل مذهب السلف أن القرآن كلام الله : حروفه ومعانيه ، والكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدءاً ، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً ، وأن الله تكلم بصوت ، وذكر حديث أبى سعيد رضى الله عنه الذى فى الصحيحين . فأخذ نائب المالكى يقول ، أنت تقول : إن الله ينادى بصوت ، فقال له الشيخ : هكذا قال نبيك إن كنت مؤمناً به وهكذا قال محمد بن عبد الله إن كان رسولا عندك .

وجعل نائب السلطان كلما ذكر حديثاً وعزاه إلى الصحيحين يقول لهم : هكذا قاله النبى صلى الله عليه وسلم يقولون نعم . فيقول فمن قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم أى شىء يقال له . وقال له كل شىء قلته من عندك قلته ؟ فقال بل أنقله جميعاً عن نبى الأمة صلى الله عليه وسلم ، وأبين أن طوائف الإسلام تنقله عن السلف كما نقلته ، وأن أئمة الإسلام عليه ، وأنا أناظر عليه ، وأعلم كل من يخالفنى بمذهبه .

وانزعج الشيخ انزعاجاً عظيما على نائب المالكى ، والصفى

الهندى ، وأسكتهما سكوتاً لم يتكلما بعده بما يذكر . وجزئيات الأمور لا يتسع لها هذا الورق .

وبعد المجلس حمل بعض الشافعية النقل من تفسير القرطبي بأن السلف لم ينكر أحد منهم أن الله تعالى استوى على العرش حقيقة ، وأنهم لا يقولون بنفي الجهة ، ولا ينطقون إلا بما أخبرت به رسله ، وخص العرش بذلك لأنه أعظم المخلوقات ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء ، وأنه لا تعلم حقيقته ، كما قال مالك رحمه الله : « الاستواء معلوم — يعني في اللغة — والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » فقال المالكي ما كنا نعرف هذا .

وبعد المجلس حصل من ابن الوكيل وغيره من الكذب والاختلاق والتناقض بما عليه [الحال] ما لا يوصف .

فجميع ما يرد إليك مما يناقض ما ذكرت من الأكاذيب والاختلافات ، فتعلم ذلك .

ولم ندر إلى الآن كيف وقع الأمر في مصر ، إلا ما في كتاب السلطان أنه بلغنا أن الشيخ فلاناً كتب عقيدة يدعو إليها وأن بعض الناس أنكرها فاليعقد له مجلس لذلك ، والتطلع ما يقع ، وتكشف أنت ذلك كشفاً شافياً ، وتعرفنا به .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وعلى الشيخ الإمام الكبير العالم الفاضل قرة العين عز الدين أفضل السلام وكذلك كل فرد من الأهل والأصحاب والمعارف والسلام .

شيخ الإسلام ابن تيمية

كما رآه عالم من معاصريه

« وهو الذى حدانى على رؤية الشيخ الإمام ، شيخ الإسلام، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً ، وكان يستوعب السنن والآثار حفظاً . إذا تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو درايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم تر أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من روايته . برَّز فى كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه » .

« فوات الوفيات ١ : ٤٩ ــ ٥٠ » المطبوع سنة ١٢٨٢

فهرست